القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه

فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي الارشاد الى الحكمة في شؤن الحياة . وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو الشراذم الذين لا يتمون لخدمة دينهم فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن الاقتصاد والتواريخ المتقنة والروايات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة عند الكافة وهي ماينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن ان الدنيا شاخت.

ثم قال فمن (الغرارة) في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اننا لا نرى ضرورة للاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يغني عن كله . والحق ان الإتقان ضروري

---

(١) كما يتربى أولاد أكثر أمرائنا على أيدي اللالات أو الخادمات وما أدراك ما تلك الحيوانات . اهـ من هامش الأصل

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحوّل عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الإتقان .

(ومن الغرارة) توهمنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فنظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدنا مثلا على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علماً ويتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قربةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومتى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويجري منها الخاطر له عن المزاحمين وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفًّا لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في : أدري وأقدر : جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لاتحقق في الانسان الا في فنّ واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الإتقان كما قال تعالى « ماجَعَلَ اللهُ لرجلٍ من قلبين في جوفه » فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره : لا أدري ولا اقدر : لأن الأول يتكلف اعمالا لايحسنها فتفسد عليه كلها والثاني يجري لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم اموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلا حكيما لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية او القضاء فلا شك انه يكون كربّ بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيّه في صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولا) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الأسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكدّ في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً واناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفوارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في وصفها وايضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانحلال اخلاقنا سبباً مهمّاً آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعفتهن فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غنيّ عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حال كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. وبتعبير آخر يغره انه أمامها وهي تتبعه فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدّر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغير لزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت الا لحاجة ولا شك أنه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحمةً بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات واللذات

وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحمة بالرجال والأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفؤاً لها فقط لكيلا تهلكه بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً موجبات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان التزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او بسافلات الطباع والعادات او بالغريبات جنساً او الرقيقات مفاسد شتى لأن الرجل ينجرُّ طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لامحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرته الى موالاة قومها والتخلق باخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الازواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال إخلاق الامراء من المسلمين أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة(١) أن تنزل بعلها وهو في الغالب أطوع لها من خلخالها أن يجيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تغرز في رؤس صبيتها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطرة كلاّ لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرجيات الارمنيات والرقيقات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

سرّ ان أعاظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أو بيوت قروية وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الامة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخور في الطبيعة) لاننا نجدهم ينتقصون أنفسهم في كل شئ وينقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل اقدام وينوقعون الحياة في كل امل. ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقةً وظرافةً وتمدناً ويخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات. وكإهمال التمسك بالعادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته. وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين. وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع. وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبير يقبلون يده أو ذيله أو رجله. وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم. وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق. وألفوا الانقياد ولو الى المهالك. وألفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتطاول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة والاكنة رزانة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعاً والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملا والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنوناً

ثم قال وليعلم ان النشء الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منها شئ

اه من هامش الاصل

وتتعلق الاوطان بجبال همتهم عساهم يأتون فعلاً مذكورا هم اولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويجتنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمنكرات الذين لايقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسارة . الذين يودّون ان يموتوا كراما ولا يحيون لئاما . الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤنه لايحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بارّ بوطنه لايخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة . الذين يعتبرون ان خير الناس أنفعهم للناس الذين يعرفون ان الفنوط وباء الآمال ، والتردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيّلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً .

وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاق لهم تجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد لانهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاوناً وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم وميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لايقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشبيب والاحساس فقط

---

(١) اكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين . ولتخاطبهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجمنستيك) وأكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعاريعرف بهما المسلم أنه لكفى . (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التشبث بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق . والحاصل ان شؤون النشء المتفرنج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق يجمعها وصف « لاخلاق لهم » والواهنة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولو رياءً وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المتفرنجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الاتراك الملتهبين غيرة يقتضي احترام مزيتهم

ثم قال (السيد الفراتي) ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يمطلون ولا يسفهون ولا يثبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا أن تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت وتتسلط عليهم أقلام الأدباء وألسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بعبائر بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على ألسنة العامة . وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين النشء والواهنة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاشلين المتواكلين المتقاعسين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء الا التعطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصبيتها يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ولوتر الالمانيين وفولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النشء وإثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفينا الفوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضعف من أن نحوجنا أن ننتظر أمّ حسان تلد حسّاناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤٠٤٣٣٣٢١ ٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧١٩٢٣٤١٧٤٦١٦٨٢٤٢١٣١١ ١٩٠٥٠٥٣٣٤٧٨٦٦٢٤٥٥٢٤٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٣٩٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٧٤٢٣٥ ٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٨٥٥٥٨٤٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥) وهذا أنجع دواء والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما سنح لي في هذا المرام وقام، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تلخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السانحة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المذاكرة حيث يبحث فيها قضيةً فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف

بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب التربية والتعليم

الشذرة العاشرة من مجربة الدكتور اراسم (*)

التقليد والذاكرة

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتغرير به كمثل القنانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتسهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شعابه مورد الهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبخداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائفه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلا . وقد يكون الذنب في ذلك على المربين دونهما لما ينهجونه من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميتها فانك ترى التلميذ الذي تربى على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجمل من القول المنثور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشعر بشيء منها قط ويبدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتفنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام ورعاتها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والاوصاف

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح